



يا؟

إنتروب

د. مشاعل عبد العزيز اسحق الهاجري
Mashaël.alhajeri@ku.edu.kw
20 يوليو 2012



من العبث محاولة تغيير بعض الأشخاص / الأحداث التي تحمل كل مؤشرات الميل للتحلل، البلى، و الإضرار بالنفس .

بالنسبة لي، هؤلاء الناس يُعرّفون / هذه الأحداث تُعرّف من خلال صفات العناد و عدم القابلية للتغيير، تماماً بما يبدو و كأنه امتثال طبيعي للقانون الثاني للديناميكا الحرارية (Thermodynamics)؛ هذا القانون الأقل مرونة من جميع القوانين الفيزيائية القوانين التي اكتشفت حتى اليوم (و هو قانون مبدأ الإنتروبية Entropy أي كون الأشياء – إذا ما تركت في وسط معزول عن التأثير الخارجي – تميل بشكل ثابت للتحوّل من حالة النظام الى حالة الفوضى).

ما يعنيه ذلك هو أن الأصل في الجملة المادية هو الانتقال من حالة الانتظام إلى حالة أكثر تشتتاً و بعثرة فلا يمكن أن يحدث العكس، كما هو الحال مع الحجر الذي إن وقع من أعلى الجبل لا يمكن أن يتدحرج من الأسفل إلى قمة الجبل، و كذلك مع زجاجة العطر التي إن فتحتها خرجت منها جزيئات المادة العطرية فانتشرت في جو الغرفة مع تعذر إعادتها إلى الزجاج مرة أخرى، و المبدأ نفسه ينطبق على الذرة التي إن انشطرت و انفجرت على شكل قنبلة نووية فإنها لا يمكن بأي حال أن تعود و تتجمع على بعضها كتلة و لا أن تلملم الطاقة التي تبعثرت منها، فلحصول ذلك لا بد من طاقة هائلة تمارس من الخارج فتضغط هذه الجملة المادية و تعيد ترتيب مكوناتها – و هذه على الأغلب غير موجودة.

بل إن القانون الذي يقول بأن الأنتروبية في ازدياد مطرد يكاد يحتل الموقع الأعلى بين قوانين الطبيعة كلها. كان الفلكي الشهير آرثر أدينغتون يقول "لو كانت لك نظرية مناقضة للقانون الثاني في التيرموديناميك، فليس لك أي أمل ستنهار في أسوء صورة من صور الإذلال".

و في السياقين الاجتماعي و التاريخي، يبدو لي أن هذا القانون يعتبر من القوانين العامة الثابتة للحياة، إذ يقرر أن الأحداث – لا سيما التلقائي منها - تسير في اتجاه واحد فلا يمكن عكسها. بالنسبة لي، لا يعنى ذلك وجوب الاستسلام، و لكنه بالتأكيد يعني أنه متى ما ظهرت هذه الخصائص الإنتروبية واضحة، فلا جدوى من تضييع الوقت و الطاقة في محاولة تغييرها (على مستوى الأحداث، هل "الربيع العربي" مثال جيد؟ لا أدري. و لكن على مستوى الأشخاص، أعرف تماماً أننا نضيع الكثير من طاقاتنا و أعصابنا في محاولات يائسة لتغيير حياة من يهمننا أمرهم من الأشخاص ذوي الميل المرضي لتحطيم ذواتهم، رغم أننا ندرك تماماً عبثية ما نفعله).

يتداول علماء الفيزياء هذه النكتة (السمجة؟) حول القانون الثاني للديناميكا الحرارية التي تقول أن طفل تفاخر أمام صديقه بقوله: "أبي يستطيع عمل أي شيء"، فأجابه صديقه: و هل يستطيع أبوك إعادة معجون الأسنان إلى العبوة؟"